المحاضرة الثالثة:

الإحياء الشعري في المغرب العربي

تمهيد.

1. الأمير عبد القادر وجهوده الإحيائية في الشعر العربي. 2. الأغراض الشعرية في شعر الأمير عبد القادر.

3. تجربة الاحياء في تونس والمغرب.

المحاضرة الثالثة:

الإحياء الشعري في المغرب العربي

تمهيد: تعدّ سنة 1831 نقطة تحوّل في تاريخ الجزائر الحديث، فقد كان احتلال الجزائر بمثابة صدمة عنيفة، هلهلة نفسية الجزائريين، لأنّ الاستعمار الفرنسي راح يعمل منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر على طمس الهوية الوطنية من خلال القضاء على اللّغة العربية والدين الإسلامي، باعتبارهما سمتان دالّتان على أصالة الشعب الجزائري وعراقته وعمق حضارته.

لذلك عمل الاستعمار الغاشم على تحطيم الشخصية الجزائرية بتحطيم قيمها الثقافية والحضارية، فكان أول عمل قام به هو نشر الأمية والجهل بين الجماهير وبذلك بإغلاق المدارس العربية، وتحريم التعليم باللّغة العربية، يقول فرحات عباس: "لمّا كنا نطالب بفتح المدارس، كان جوابهم لنا أنّنا لسنا أهلا لها لأنّنا قوم لا نقبل لا التربية ولا التعليم"[1]، رغم أن اللّغة العربية كانت هي لغة البلاد الرسمية وكان تدريسها منظما، يسير وفق منهجية علمية تتلاءم وروح العصر، والدليل على هذا هو شهادة الجنرال فيالار سنة 1934 إذ قال: "إن العرب كانوا يتقنون كلّهم القراءة والكتابة وفي كلّ قرية كانت توجد مدرستان"[2] ويثمن هذه الحقيقة التاريخية الأستاذ توفيق المدني إذ يقول: "الأمية لم تكن سائدة في الأوساط الجزائرية قبل مصيبة الاحتلال سنة 1831، فكانت الكتاتيب (3111) وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها النشأة العربية الدينية الصالحة"[3].

لذلك عمل الاستعمار من أجل تحقيق أهدافه البغيضة على غلق الزوايا وتهديمها وكذلك تحويل أغلب المساجد إلى كنائس، كما استعمل التعليم الفرنسي بوصفه وسيلة فعّالة لتحقيق أغراضه الدنيئة، من تجنيس الجزائريين واستئصالهم من عروبتهم، فضرب حصارا شديدا على التعليم العربي والإسلامي، ومع ذلك فقد استمر نقل الثقافة العربية والإسلامية

---

[1] فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، ط فضالة، ترجمة رحال أبي بكر، دت، ص31. [2] المرجع نفسه، ص34.

[3] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، 1956، ص139.

بواسطة الكتاتيب والزوايا، كان التعليم بها يسير على نهج من مناهج التعليم في الأزهر والزيتونة والقرويين إذ أسهمت المدارس الحكومية الثلاث الثعالبية في الجزائر ومدرسة قسنطينة ومدرسة تلمسان في تخريج القضاة والمدرّسين والموظفين باللّغة العربية.

أعود إلى سنة 1831 فيعد دخول فرنسا إلى الجزائر، انبرى الشعب الجزائري للدفاع عن وطنه، فكانت المقاومة عنيفة وقوية آزرها ولأول مرة شعر وطني وقومي يعبّر عن معاني الانتماء والتطلع للحرية والكرامة، وكان الأمير عبد القادر نموذجا رائعا للأمير المقاوم والشاعر المناضل.

1. الأمير عبد القادر[*] وجهوده الإحيائية في الشعر العربي:

إذا كان البارودي هو رائد الشعر العربي في المشرق كما رأينا في المحاضرة الأولى، فإنّ الأمير عبد القادر هو رائد الشعر العربي في المغرب، وهنا أفتح قوسا لأقول يبدو لي أن الشاعر والقائد والأمير عبد القادر هو أسبق زمنيا من البارودي.

المهم يدخلنا صالح خرفي إلى الشعر الجزائري الحديث إلى إجراء تأمّل في المدلول الزمني للفظة الحديث بالنسبة للشعر الجزائري فيقترح بذلك اعتبار شخصية الأمير عبد القادر عتبة النهضة الشعرية حيث يقول: "إنّ المدلول الزمني للفظة (الحديث) بالنسبة للشعر الجزائري، يأتي في طليعة الأمور التي تحتاج لوقفة وتأمل فإنّ المدلول الزمني لهذه اللفظة بالنسبة للأدب العربي، وفي المشرق بالذّات قد يوغل في القرن الماضي (التاسع عشر) إلى عهد محمد علي، وهذا العهد يصادف عندنا في الجزائر ظهور شخصية بطولية أدبية هي شخصية (الأمير عبد القادر) فلم لا تكون هذه الشخصية عتبة النهضة الشعرية عندنا"[1].

إنّ ما ذهب إليه صالح خرفي في التأكيد على أن الأمير عبد القادر هو رائد الشعر العربي الحديث في المغرب، هو خلاصة ما اطّلع عليه في مراجع المشارقة الذين يضعون الأمير موضع الرائد ومثال ذلك الأستاذ حسن السندوسي في كتابه "أعيان البيان" الصادر سنة 1914، يدرج اسم الأمير عبد القادر بوصفه شاعرا بين أعيان البيان في القرن الثالث

---

[*] الأمير عبد القادر الجزائري ولد عام 1817 بالقيطنة ولاية معسكر ينحدر شبه من منبع عربي أصيل إذ ينتهي نسبه إلى آل البيت، وقد نشأ نشأة عربية بدولة عمادها التربية الإسلامية وتمرن منذ الصغر على الفروسية، في عام 1832 يبايع أميرا تحت شجرة الدردارة ويحمل على كاهله أعباء المسؤولية فيواجه فرنسا مدّة 17 عاما ثم يرحل إلى فرنسا وينتهي به المقام في دمشق بسوريا إلى أن توفى عام 1883.

[1] صالح خرفي: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص111.

عشر الهجري مرتبطا بأسماء أعلام النهضة الفكرية الحديثة من أمثال: رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وبطوس البستاني وناصف اليازجي[1].

أ. التجربة الشعرية عند الأمير عبد القادر: إنّ المتأمل في شعر الأمير وفي الأغراض الشعرية التي تناولها، سيقف على حقيقة واحدة، وهي أنّه شاعر طلائعي أصيل، نظر إلى التراث الشعري القديم نظرة احترام واجلال، فحاول مجاراة فحول الشعراء في أغراضهم وأساليبهم وصوره، فمن الأغراض الشعرية التي خاض فيها نجد:

2. الأغ ارض الشعرية في شعر الأمير عبد القادر:

أ. غرض الفخر: يعدّ هذا الغرض أعلق ألوان الشّعر في نفسه، لأنّه أشبه بهو اجدر بشخصه، فالبطل العربي يحارب ويناضل ويتعرض للموت وللجراح مرّات فمثل هذا الرجل إنّما يعمل لكي يكسب فخرا يعيش به في التاريخ.

لذلك وجدنا أنّ الفخر عند الأمير قد انبنى على دعامتين أساسيتين[2]:

الأولى: الفخر الطبيعي الذي جُبل عليه والنابع من نسبه الشريف ذي الأواصر الدموية المرتبطة بسلالة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، يقول[3]: (بحر الطويل)

أبِا رسول الل خير الــورى ط~ار ** فمن فـي الورى يبغي يطاولنا قدرا
ولانا غدا دينا وفرض مـــحتما ** على كلّ ذي لبّ به يأمن من الغدرا وحسبي بهذا
الفخر من كلّ منصب ** وعن رتبة تسمو وبيضاء أو صف ار
لعليائنا يعلو الفخار وان يــكن ** به قد ســما قوم ونالوا به نصرا
ومن ارم إذلالنا قـــلت: حسبنا ** إله الورى والـــجد أنعم به فخرا

يرى أنّ انتسابه إلى آل البيت يعدّ فخرا كبيرا، وشرفا ساميا، لا يصله إلّا من حباه الله بهذا الانتماء، الذي يغنيه عن كلّ رتبة دنيوية أو ثروات تجمع من أموال الدنيا الزائلة.

وبالتالي لا أحد يستطيع إذلاله أو النيل من شرفه. والملاحظ أنّه في هذا النوع الفخري، لم يكثر منه في شعره.

(1) ينظر، صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، ص111.

(2) ينظر، عبد الرزاق بن سبع: الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز اليابطين للإبداع الشعري، ط2111، ص71.

(3) الأمير عبد القادر: الديوان، جمع وتحقيق د. العربي دحو، ط3ب.ت 2117، ص45.

الثانية: الفخر الإرادي المكتسب، وهذا النوع مرتبط بأفعاله وممارساته ومواقفه خاصة والقارئ يعرف جيّدا أن الأمير كان قائدا كبيرا، شنّ الكثير من المعارك ضد الاحتلال الفرنسي، وهذا ليس بغريب عليه، لأنّه نشأ على حب الفروسية والجهاد في سبيل الله لذلك نجده يربط في أكثر من موقف في أقواله بين جهاده ضد فرنسا وجهاد الصحابة الكرام في سبيل الدعوة الإسلامية[1].

والملاحظ في فخر الشاعر أنّه يتحدث عن هواجس صحيحة وأفكار لا تضّع فيها ولا تكلّف، فهو وان كان يشبه في فخره، شعراء العصر الجاهلي كعنترة بن شداد وعمر بن كلثوم، وبعض شعراء العصر العبّاسي كالبحتري وابن الرومي وأبو فراس الحمداني والمتنبي، فإنّه يظل نسيجا وحده، يقول في إحدى قصائده[2]:

إذا ما لقيت الخيل إنّـــي لأوّل ** وا ٥ن جــال أصحابي فإنّي لها تال

أدافع عنهم ما يخـافون من ردى ** فيشكر كلّ الخلق من حسن أفعالي

وأورد رايات الطّعان صـــحيحة ** وأصدرها بـــالرّمي تمثال غربالي ومن عاد

السادات بالجيش تحتمي ** وبي يحتمي جيشي وتحرس أبطالي

اشتكت خيلي الج ارح تـحم حما ** أقول لها: صب ار كـصبري واجمالي

فالأمير شجاع باسل يبذل النّفس الغالية، يوم المعركة دون تردّد، ويضرب بجيشه المثل بنفسه، التي يضعها في مقدمة الجيش ليصير قدوة يحتذى بها إذ يستحضر في البيت الثالث بعض ما قاله الشاعر عمر بن كلثوم في معلقته الشهيرة[3]:

أ هند فلا تعجل علينا ** وأنـظرنا نخبرك اليقينا

بأنّا نورد الرايات بيضا ** ونصدرهن حم ار قد روينا

ويستحضر في البيت الخامس قول عنترة بن شداد[4]:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ** ولبانه حتّى تسربل بالدّم فازورّ من وقع

القنا بلبانه ** وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

---

[1] ينظر، صورة الزعيم في الخطاب الشعري الجزائري الحديث الأمير عبد القادر الجزائري نموذجا: تأليف بوجمعة بوبعيو، عمر بلمقنعى، بريكة بومادة، مخبر الأدب القديم والحديث، جامعة عنابة، دت، ص32.

[2] الأمير عبد القادر: الديوان، ص49.

[3] الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد: شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2111، ص139. [4] المرجع نفسه: ص172.

يبدو الأمير في فخره واقعيا، لأنّ كلامه كان مطابقا لمقتضى الحال، فهو في ساحة المعركة حامي الحمى والمدافع عن قومه والذائد عن شرفه ونساء عشيرته اللائي يحتمين به لثقتهن فيه وايمانهن بشجاعته وقدرته عن دفع الأذى.

إنّ قصائده في الفخر تأتي كالملاحم المسجّلة لأعظم البطولات وتمتزج كذلك بغرض الوصف كما فعل حين تحدث عن معركته التاريخية "خنق النطاح" التي انتصر فيها على الفرنسيين رغم قلّة العدّة والعدد، وكان لواءها أنذاك بيد والده، يقول فيها[1]:

ألم تر في خنق النطاح نطاحنا ** وكـم غداة الـتقينا كم شجاع لهم هوى تحـــد
هامة ذلك النهار قددتها ** حسامي والقنا طعنة شوى ثمان ولم
وأشقـــر تحتي كلمته رماحهم ** يشك الجوى بل وما التوى
ولما بـــدا قرني بيمناه حربة ** وكـــفّى بها نار الكبش قد شوى
شدّدت **عليـــه شدّها شمية ** وقـد وردوا ,و٠رد المنايا على الغوى**

فالشاعر ينتهج في وصفه لهذه المعركة، نهج الفارس الذي خاض كثير المعارك وأبلى فيها البلاء الحسن، وهو لا يتوانى عند إمداد جيشه وفرسانه بقوّة معنوية تزيدهم صبرا وجلدا في المعارك القادمة ضد المستعمر الغاشم.

المهم إنّ القارئ لشعر الأمير في غرضي الفخر والوصف، يجد أنّه قد حافظ على نهج القصيدة العمودية، وحاكى فحول شعراء العصر الجاهلي والعبّاسي، فجاء معجمه الشعري يتقاطع بشكل واضح مع الحقول الدلالية للشعر القديم، ويتناص بشكل ظاهر، لكن بالمقابل حاول التعايش مع مظاهر عصره، من خلال احتفائه بالعلم والعلماء والفخر بهذا الجانب، وذلك إيمانا منه بمحاولة بناء دولة جزائرية معاصرة.

ب. الغزل: حفل ديوان الأمير عبد القادر بغرض الغزل العفيف، الذي يعكس رهافة الحس التي اتسم بها، وقد استقاها من نبع الغزل العربي الغزير.

فقد جاء شعره الغزلي تنفيسا عمّا اكتوى به من نار الحب والجوى وان كان كما قلت سابقا طاهرا عفيفا، توّج في النهاية بالزواج من ابنة عمّه ولمّا كانت: "كلّ علاقة بين رجل وامرأة في حقيقتها فنية أو ينبغي أن تكون كذلك... نتج عن ذلك حقيقة فنية ونقدية أكيدة،

[1] الأمير عبد القادر: الديوان، ص121.

هي أن موضوعات الحب في كل الفنون كانت وستبقى أعظم الموضوعات أسرا وامتلاكا لمشاعر النّاس وأرواحهم في كل العصور"[1].

لقد حفل غرضه الغزلي بحبيبة واحدة هي ابنة عمّه، التي صارت فيما بعد أمّ البنين وأعلن ذلك صراحة وصوّرها تصويرا فنّيا راقيا دون أن يتجاوز حدود الحياء والأدب والحشمة، يقول في قصيدة بنت العم[2]:

أقاسي الحبّ من قاسي الفؤاد ** أريـــد وأرعاه ولا يــرعى ودادي

حياتها وتريد قتلي ** فــتضحك بهــجر أو بصد أو

ملء فيها ** بعاد وأسهر وهي في طيب الرقاد

وتعمى مقلتي إذا ما تناءت ** وعــيناها تعمى عن م اردي

وتهجرني بـــلا ذنب ت اره ** فظلمـي قد أرت دون العباد

يبدي الشاعر في هذه الأبيات -على عادة شعراء الغزل العفيف- الألم والشكوى وقلة الحيلة، خاصة وأن محبوبه لا يوليه أيّ اهتمام فهو يرعاها وهي لا تبالي، يسعى لحياتها وهي تسعى لموته إلى غير ذلك من دلال المحبوب على المحب، وما يزيد في معاناته هو ذلك الهجر المرير، الذي يلاقيه من معشوقته ونجده في قصيدة فراقك نار، يقول[3]:

لمـحبوب تخلّف من بعدي ** عليــلا بأوجاع الف ارق والبعد

أمـا أنت حقًّا لو أريت صبابتي ** لهان عليك الأمر من شدّة الوجد

وانّــي -وحق الل- دائم لوعة ** ونار الجوى بين الجوانح في وقد

غريق أسير السقم مكلوم الحشا ** حريق بنار الهجر والوجد والصدّ هل يجــود

الدّهر بعد ف ارقنا ** فيجمعنا والدّهـر يجري إلى الضدّ

ما قـد .ن°لت من ألم وما ** تحمله ضــعفي وعالجه جهدي

لكيتعلـمي -أم البنين- بأنّه ** ف ارقك نار واقتـــ اربك من خلد

إنّ غزل الأمير رصين، يعرف للمرأة قدرها ومكانتها، لأنّه يرى فيها النّصف المتمّم للإنسانية كلّها. ولذلك ظهرت صورة الحبيبة الزوجة في شعر الأمير متفردة أفرزتها الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها، فمن اعالي سهل غريس إلى سجون فرنسا تحت عنوان

---

[1] صالح حسن اليظي: البحتري بين نقاد عصره، دار الأندلس، بيروت، ص122. [2] الأمير عبد القادر: الديوان، ص58-59.

[3] المصدر نفسه: ص61-61.

الإقامة الجبرية إلى الانتهاء إلى سوريا، هذا النفي المرير وما يثيره من ذكريات جميلة ولكنّها قاتلة ولذلك جاء "تصوير الأمير لشوقه وعذابه جرّاء البعد هو في الحقيقة رسم لحدود حبّه زوجته وحديثه عن عدم انجاز الوعود هو حديث جماليات هذه الصورة التي تصنعها حبيبته بعفتها وشرفها"[1].

خلاصة غزل الأمير الشاعر في معجمه اللّغوي مستمد كلّه أو أكثره من الشعر العربي القديم، ما يؤكد ارتباطه الوثيق بعيون شعرنا القديم.

ج. التّصوف: لا يستطيع أيّ دارس لتجربة الأمير عبد القادر الشعرية، أن يغفل عن غرض التصوف، هذا الأخير الذي جاء تتويجا لمسار رجل زعيم، فنشأته العلمية وهو سليل العلماء، ثم خوضه للمعارك ضد فرنسا لمدّة تجاوزت سبعة عشر عاما ثم سجنه ثم نفيه، واستقراره في بخر المطاف بدمشق، كلّ هذه العوامل مجتمعة دفعته إلى التصوف سلوكا ومعتقدا، خاصة وهو بجوار الشاعر الكبير محي الدين عربي[*] الذي أوصى أن يدفن تحت قدميه احترام الطالب لأستاذه أو المريد لشيخه.

إنّ المرحلة الأخيرة من حياة الأمير وهو في دمشق جعلته يتفرغ للتأمل والحكمة من أجل إزالة الغموض على الوظيفة الحقيقية للإنسان المسلم في دينه ودنياه كون المنطق الديني يقدم المبررات والحجج للمنطق الدنيوي، لقد جعل من الكتاب والسنة زادا يتزود به في رحلاته الدنيوية الشاقة من أجل نيل المرتبة السامية. بعيدا عن الأباطيل والأضاليل التي كانت تمارس من قبل بعض المنتمين إلى الصوفية، وقد نظر إلى المتصّوفة على أنّهم صفوة الأخيار بما منحهم الله من معرفة إيمانية لدنية تتجاوز المعرفة العادية وجعل ثلاثة أصناف:

"- أهل الله وذلك لتقربهم بالعبادة والانصياع.

- العارفون بحقائق، قد لا تتوفر لدى النّاس جميعا فهذا تميز لهم. - أهل الكشف والعرض"[2].

---

[1] بوجمعة بوبعيو، عمر ليقني، بريكة بومادة: صورة الزعيم في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، الأمير عبد القادر الجزائري، نموذجا، ص54.

[*] محي الدين عربي ولد بمرسية باسبانيا علم 561هـ-1165م، من أسرة نبيلة تنتهي إلى سلالة حاتم الطائي، تعلم هناك ثم رحل إلى المغرب ثم إلى المشرق، ترك أكثر من أربعمائة مؤلف أغلبها في النثر، توفي بدمش ودفن بحي الصالحية، عام 638هـ-1243م.

[2] الأمير عبد القادر: المواقف في التصوف، الموقف 136، ص312.

ومن النماذج الشعرية في هذا الغرض قوله[1]:

ليتهم إذا ملكوني أسجحوا ** ليتهم إذا ما عفوا أن يصفحوا

رحلوا العيس ولم أشعر بهم ** ليت شعري أيّ وادي صبّحوا

أخذوا قلبي وماذا ضرّهم ** أن يكونوا بجميعي جنحوا

أي عيش لي من بعدهم ** طار قلبي وعظامي ملحوا

ويح أهل العشق هذا حظهم ** هلكى مهما كتموا أو صرحوا

يدخلنا الشاعر بهذه الأبيات في عوالم من الرموز الشفافة التي تنعكس منها ظلال وأنوار هذه الرّموز التي تخلق لنفسها معجما خاصا بها، فتغدو العيس رمزا للهمم الطالبة معرفة الحق والوادي رمزا للطريق الذي يسلكه الصوفي، والمحبوبة التي هام بها عشقا رمزا للذات الإلهية فيتحول النص من الظاهر إلى الباطن ومن المرئي إلى اللامرئي ومن المعقول

إلى الميتافيزيقي. وبالتالي يجمع الشاعر بين الحب الطبيعي والحب الروحاني في محاولة التوحيد بين السماوي والأرضي، فالحب الأرضي تمثل في الضمير المتّصل في أسجحوا، رحلوا، صبّحوا، بعدهم، ضرّهم، جنحوا، كتموا... الخ والحب الروحاني هو الذي حوّل المحبوبة إلى قاعدة ينطلق منها سابحا في ملكوته الخاص وطائرا بلا أجنحة بحثا عن اللّانهاية، والجمع بين نوعين هو من صميم التجربة الصوفية لأنّ الحبّ هو نواة التجربة الصوفية، يقول زكي مبارك: "إنّ التصوف لا يصلح إلّا بفضل الحب ولا يفسد إلّا بسبب الحب"[2].

وحين يعبّر الشاعر عن تجربته الصوفية، فإنّه يتوسّل في ذلك بلغة العذريين فلا تكاد تفرّق بين شعر المجانين وشعر المتصوفة ونموذجنا هو الشاعر الأمير ويقول في مقام آخر[3]:

ويلقى جنانا فوق فردوسها العلى ** وما لجفان الخلد إن عبقت نش ار

ويشرب كأسا صرفة من مدامة ** فيا حبّذا كأس! ويا حبّذا خمر

فلا غول فيها ولا عنها نزفة ** وليس لها برد وليس لها حرّ ولا هو بعد

المزج بأصفر فاقع ** ولا هو قبل المزج قان محمد

---

[1] الأمير عبد القادر: الديوان، ص117.

[2] زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص189. [3] الأمير عبد القادر: الديوان، ص111.

معتقة من قـبل كسرى بمصونة ** وما ضمّها دن ولا نـالها عَ ٠ص ر

وظّف الشاعر في هذه المقطوعة الخمرة، وجعلها رمزا مثل سايقيه، وجعلها مثقلة بالرموز الماورائية، تبحث عن المطلق تسبح بالصوفي في الفضاء الروحاني، لأنّها تغيبه عن الحاضر بفعل تخديرها للعقل وتصير الخمرة عند الشاعر الصوفي كما يقول نصر حامد أبو زيد: "معادلا للتجربة الصوفية التي تستهدف الوصول إلى المطلق والاتصال به إنّها تجربة تعيد للإنسان وحدته المفتقدة -معرفيا- مع الأشياء والعالم والله"[1].

إنّ الأمير في شعره الصوفي يحاكي كبار الشعراء الصوفيين كابن عربي وعفيف الدين التلمساني وابن الفارض، لذلك جاء شعره على شاكلتهم من خلال توظيف رمز المرأة ورمز الخمرة ورمز الديار.

يبدو لي أنّ التجربة الشعرية عند الأمير قد اتّضحت للقارئ، من خلال ما استعرضناه فبدأ إحيائيا بامتياز سائرا على نهج القدامى في أساليبهم وأفكارهم وقوالبهم، لذلك لا غرو أن قلنا أنّه رائد الإحياء في المغرب العربي خلّص الشعر مما كان يعيب في ذلك الزمن، لأنّ شاعريته كانت ناضجة والهامة كان قويا وثابتا، يتخطى عصره إلى العصر الذي يليه.

3. تجربة الاحياء في تونس والمغرب:

أما النهضة الشعرية في تونس فقد شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بوادر نهضة شملت المجالات العسكرية والتعليمية والفكرية واقترنت بتحولات سياسية في البلاد، في فترة حكم خير الدين باشا بلغت النهضة أوّج عطائها وظهرت الصحف والمجلّات، التي فتحت صفحاتها لنشر العديد من القصائد والمقالات والدّراسات، وقد ساهمت الصحافة أنذاك في قيام حركة ادبية نشيطة، إذ تجاوز عدد الشعراء أنذاك أكثر من مائة شاعر بعضهم نشر قصيدة واحدة وبعضهم نشر أكثر من قصيدة، إذ يمكن وصف شعر تلك المرحلة في أغراضه وروحه وأسلوبه، على ما كان عليه قبل عصر النهضة في المشرق أي قبل البارودي، فكان فيه المدح والرثاء والوصف والغزل والمساجلة والألغاز والتاريخ[2].

---

[1] نصر أبو حامد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص416.

[2] ينظر، مجموعة من المؤلفين: تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، تونس مجمع العلوم والآداب والفنون، دار الحكمة، 1993، ص17 وص26.

ومنذ أن ظهر الشعر الحديث انتحى الشعر التونسي منحى جديد وأقبل شعراؤه على النظم في الموضوعات الجديدة متتبعين شعراء الإحياء في أساليبهم وأفكارهم.

أما في المغرب الأقصى: وبعد إعلان الحملة الفرنسية سنة 2117 عاش المغرب حالة من العزلة على المستويات المتنوعة، إذا لم تجد قرائح الأدباء والشعراء البيئة الخصبة التي تعينها، وكانت الجذوة الوحيدة التي ظلّت متقدة في ذلك الحين محصورة في نطاق الفقهاء وعلماء الدين، ويعد اتّصال الحركة الإصلاحية المغربية بجمعية العلماء المسلمين ومثيلاتها

في المشرق العربي، يضاف إلى ذلك كلّه حدث الحرب العالمية التي قامت بتحطيم العزلة وظهرت بوادر التحول في إحياء القديم وبعثه[1].

خلاصة القول: يبدو لي أنّ الأوضاع في المغرب العربي متشابهة إلى حدّ كبير خاصة وأنّ الاستعمار كان واحدا، سواء في الجزائر أو في تونس أو في المغرب الأقصى.

[1] ينظر، عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري: في الأدب المغربي المعاصر، مصر، دار المعارف، ص41 وص42.